الانزياح الدّلاليّ وأثره في تطوُّر اللغة

د/ بن الدين بخولة

جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف(الجزائر)

الملخص:

اهتم البلاغيون وفلاسفة اللغة على حد سواء بالمجاز كونه ظاهرة لغوية معقدة، وشغلت قضية اللفظ والمعنى المركز الأهم عندهم؛ استنادا إلى فكرة التقابل بين الكلام العادي والكلام الأدبي .وهي الفكرة التي حدد الفلاسفة على أساسها إطار الشعر والخطابة، لأنهما يمثلان هرم القول البليغ وإن تفاوتا في الدرجة. يعتمد الفلاسفة الإسلاميون اصطلاحات مختلفة لرصد الكلام غير العادي، منها:

التجوز، والتوسع، والعدول، وإخراج القول غير مخرج العادة،... وغيرها. وللانزياح إضافة إلى كونه عامل تميز للخطاب الأدبي، دور جمالي كبير يسهم في لفت انتباه المتلقي، ومن ثمة التأثير فيه وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب، فالتفاعل ضروري وهام بين العناصر المنزاحة والعادية لأن هذه العناصر دون تفاعلها لا أهمية لها بل قد تكون عوامل معيقة لشعرية الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الانزياح– التغير الدلالي–التقديم والتأجير–اللفظ –المعنى–الانزياح الاستدلالي – الانزياح التركيبي.

نص المقال:

يعد علم اللسانيات ذلك الأفق الواسع الذي أسس لأغلب الدراسات خاصة منها اللغوية؛ باعتباره يبحث عن معاني الكلمات اللامحدود، كما أنها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج إنها تعلّق على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا، فاللسانيات تتكون من كل مظهرات اللغة الإنسانية وتتميز بأنها بحث علمي متميز يبحر لأجل استقصاء الأصول والخصائص المتعلقة باللغات وما يطرأ عليها من تغيير و يؤسس لقوانين علمية تحكمها و لعلَّ من أهمها" اللغة "تلك الملكة الفطرية التي وهبنا إياها سبحانه وتعالى من أجل أن نتواصل بها مع بعضنا. فاللغة إذا ملكة وتحصيلها قرين تعلمها ، ولا تعلّم إلا بتعليم : إرادي أو ير إرادي ، وسؤال اللغة :كيف تنشأ وكيف تتجلى حتى يستدعي المعنى على قدر ما ينادي سؤال المعنى سؤال آخر هو سؤال الدلالة يتمثلها الساعي إلى تحصيل ملكة اللغة [1]، متخطين في ذلك الحواجز التي كانت قائمة بين ثلاث نظريات كبرى في مجال علم الدلالة كل واحدة تركّز على فرضية أساسية: الأولى تعتبر أن مفتاح الدلالة هو لمعنى المعجمي كما استقر في الذاكرة الفردية

والجماعية، والثانية تعتبر أن مفتاح الدلالة هو المعنى السياقي عندما يدخل اللفظ في تركيبة الكلام، والثالثة توكل الأمر إلى المفتاح المقامي بالاحتكام إلى لحظة التداول الفعلي بين المتحاورين باللغة وصولا إلى البحث في مجال اللسانيات الإدراكية التي تمثل اليوم نقلة نوعية وذلك بانصهار، ثلاث حقائق وهي: الحقيقة العضوية، الحقيقة النفسية وأخيرا الحقيقة النحوية[2].

إلا أننا نستطيع أن ندرك سمة مشتركة تجمع بين جميع هذه اللغات هي اتخاذها وسيلة للإبلاغ، فقد أدرك"اللغويون" و" العلاميون بوجه عام هذا اللبس في استخدام كلمة "اللغة " فحاولوا التمييز بين اللغة المعروفة وغيرها من اللغات المشار إلى بعضها سابقا، فأطلقوا عليها اسم "اللغة الطبيعية"Natural Language هذه اللغة التي تتنوع في استعمالاتها فمنها اللغة السياسية واللغة العلمية واللغة الأدبية ...هذه الأخيرة التي تعنى بدراسة الجانب العاطفي في اللغة فتدرس في هذا السياق الخصائص اللغوية التي يتحول الخطاب على إثرها من خطاب إخباري إلى خطاب تأثيري ذي وظيفة جمالية يحمل القارئ على استيعابه من خلال تلك الصبغة الأسلوبية التي تطغى على النص فتشير إلى جماليته. ومهما اختلفت الآراء عن اللغة فلها أصل ثابت تتميز به، يجعلها تكتسي خصوصية ثابتة متميزة، نذكر من هذه الخصائص أن **اللغة متغيرة**، ذلك لأنها نظام للتواصل بين البشر مرتبطة بأحوالهم وظروفهم الاجتماعية والثقافية والعقلية، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، و التغير يصيب كافة مجالات اللغة، بيد أن تأثيره على "الجانب الدلالي" أكبر من خلال أن اللغة تعدل في استعمالها وفقا لمجموعة من القوانين التي تضبطها، والتي تتجسد في أشكال مختلفة و تنعت بـ (**أشكال التغير الدلالي**)حيث تعدل مع هذه الاستعمالات اللغوية الدلالة أين تتراح من معنى إلى آخر وفق ما يقتضيه سياق الموقف، كما لا نغفل عن خاصية أخرى مهمة في اللغة و هي أنها – اللغة — **معنى** من حيث أنها تحوي جانبان، أما الجانب الأول هو الصوت الناتج عن أعضاء النطق و الجانب الآخر هو المعنى إذ لا يكون الصوت لغويا إلا إذا كان له دور في حمل المعنى[3]، هذا المعنى الذي يعد جزءًا من العالم الخارجي، فيرى البعض أن التعرف على المعنى يتأتى من بيان الموقف الذي يقال فيه الكلام، وآخرون يحددونه بمجاورة الكلمة لغيرها من الكلمات في السياق، في حين أن المعنى يتولد أيضا بفعل ذلك الخرق للاستعمال العادي للغة، هذا الخرق الذي يشحن اللغة أو الخطاب بطاقات أسلوبية جمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي وهو ما نجده في الفنون الأدبية كالشعر مثلا، أين لا يهتم الشاعر في حديثه بالحقيقة بقدر ما يهتم بالإدخال البهجة في نفس المتلقي، فينتج عن هذا انزياح لغوي واضح تتراوح معه الدلالة من معنى إلى آخر باعتبار أن الكلام هو تحقيق لهذه اللغة فقد ساعد على

حصر مجال الأسلوبية بالبحث في العبارة أو النص أو الرسالة أو الخطاب، لأجل تقصي الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي، هذا الأثر الذي يختلف في كل مرة استنادا لمقام استعماله، ما ينجر عنه عدول تركيبي لغوي يعدل معه المعنى، وتتحقق معه الصفة الإنسانية للغة باعتبار أن الإنسان في جهد دائم لتطوير لغته، لأن هذا الثراء الدلالي يكسب اللغة قيمتها هذا بالإضافة إلى خصائص أخرى تتميز بها اللغة، إلا أنه يتوجب علينا أن نشير إلى أن اللغة بتعبيرها عن أغراض المتكلم، فهي من شأنها أن تقبل (**التوسع و التغير**) باعتبار أن الأغراض تختلف باختلاف الأفراد و الأزمنة و الأحوال، و نقصد بالتوسع أن المتكلم قادر على التعبير عن فكرة لم يسبق إليها أو يتطرق لها، كما نقصد بقبول التغيير أن المتكلم بإمكانه أن يطلق لفظ لمدلول معين على مدلول آخر له صلة بالمدلول الأول و هو ما يعرف (**بالمجاز**)، و كان أن بذل الباحثون جهودا كبيرة في دراسة التغير الدلالي و ما هذا المجاز في الحقيقة إلا انزياح دلالي .

التغير الدلالي(Semantic Change): و هو مصطلح من مصطلحات علم اللغة الحديث يدل على تغير معنى الكلمة عبر الزمن، و هذا التغير الدلالي للمفردات يعد من الحقائق المقررة لدى علماء اللغة المحدثين، إذ التغير الدلالي Semantic Change هو تغيّر المعنى، هو التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدل الإنسانية، فينقلها من طَوْر إلى طور آخر[4] وقد رأى العالم اللغوي الفرنسي (**أنطوان مييه**) Antoine Meillet، وهو أول من حدد أسباب تغير المعنى، إذ هناك ثلاث أسباب رئيسيّة لتغيّر المعنى، أي: الأسباب اللغويّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة.[5] ويعقب **أولمان** على هذا بقوله: هذه الأنواع الثلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضح حالات كثيرة من تغير المعنى، ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال[6].

الانزياح ومفهومه: ظاهرة الانزياح من الظواهر الهامة في الدراسات الألسنية والأسلوبية، التي تدرس اللغة الشعرية علي أنها لغة مخالفة للكلام العادي و المألوف والذي يمثل ا بصورة عامة أساس البلاغة، لأنها لا تتحقق إلا عن طريقه لغويا ودلاليا ، فهو المعطى الأسلوبي والدلالي في العصر الحديث، ومصطلح (الانزياح) من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة، وهو تقنية فنية يستخدمها الشعراء للتعبير عن تجربتهم الشعورية. وله إضافة إلي كونه عامل تميز للخطاب الشعري دور جمالي يسهم في لفت انتباه القارئ، ومن ثمة التأثير فيه وإيصاله إلي الإمتاع واللذة وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب، ولا يختص بشعراء عصر معين. وهي من القضايا اللغوية التي تتعلق بالمعني وتندرج ضمن مبحث الأسلوبية، ومن أهم الأركان التي قامت عليها

الأسلوبية. وهو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أوهو خروج عن المعيار؛ لغرض قصد إليه المتكلم، أو جاء عفو الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أوبأخرى، وبدرجات كتفاوته" [7] ويمكن القول باختصار: إن الانحراف هو مقابل المجاز في البلاغة. ولذلك وبصفة خاصة لا يبلغ الخطاب اللغوي درجة الخطاب الأدبي إلا باتجاهين أساسيين:

***يعنى الاتجاه الأول** بمعرفة الطاقة الأسلوبية أي الطاقة اللغوية ؛ وبتعبير أدق الحيل التعبيرية "وهذا الاتجاه يقترب في موقعه من الخريطة المعرفية لحفل اللغة من البلاغة العربية وإن فرق بينهما نوع الاهتمام وطابع المنهج"[8]، لكن هذه المعرفة اللغوية لا تؤدي الغرض منها إلا من خلال عملية اختيار موفقة لهذه الحيل التعبيرية وكيفية الانتفاع بها على الوجه الأكمل، وذلك ليبرز الانزياح عما ألف بشكل واضح ولهذا فإذا توفر الكاتب على هذان الشرطان وهما "المعرفة اللغوية والقدرة على استخدامها" والتنويع فيها من تراكيب وصيغ وتقديم وتأخير ، وحذف وإضافة وتكرار الأساليب دون غيرها، إضافة إلى الاستخدامات البيانية من استعارة ومجاز وتمثيل وتشبيه ومختلف الصور وهي كلها تؤدي بالكاتب إلى تحقيق انزياح لغوي يؤدي بنا ضرورة ومنطقيا واستلزاما إلى الاتجاه الثاني.

***ويعنى الاتجاه الثاني** بمعرفة الطاقات الإشارية في الخطاب الأدبي وذلك الذي يميز هذا الخطاب كثافة الإيماء وتقلص التصريح وهو نقيض ما يطرد في الخطاب (العادي) أو ما اصطلحنا عليه بالاستعمال النفعي للظاهرة اللغوية [9]، فما يتعدى حسن التركيب هو حسن الإبلاغ والإدلال بمعنى أن الانزياح اللغوي لا يكون ذا قيمة فنية ما لم يتبع بانزياح دلالي إيمائي ، ولذلك يبقى البحث عن الخاصية الدلالية التي هي نواة الإبداع الشكلي ، ويصبح هذا البحث الهدف المعلن لدراسات الأسلوب والدلالة[10]، وإن المعاني لا تتم لولا خروج التركيب على خلاف مقتضى الظاهر، وهو الفن التركيبي الذي يعطي للمخيلة قوة تساعد على تلقي المعنى في أعلى معانيه وأجمل صوره وأقواها ، وعلى هذا نلاحظ أن هذا الخروج على خلاف مقتضى الظاهر يرتبط بخروج معان جديدة يهدف إليها المتكلم عند كلامه ويبتغيها المتفنن موافقة لشعوره وحبه لما يريد[11].

وتأكيدا لما سبق يتبين أن إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات تتعلق بإرادة المتكلم يعد"شعبة من شعب البلاغة وسبيلا إلى توفية الكلام حقه باستبطان دخيلة المخاطب، والتغلغل إلى أعماق نفسه وكشف الستر عنها وتعريتها وإبرازها واضحة أمام العيون"[12]، فلابد من إقامة الانسجام والتوافق في بناء الكلمات، حتى تؤدي المعنى المبتغى"فلا

تعد المزية أو الخاصة اللغوية فضيلة في كل مكان وفي كل جملة ، وإنما المعيار هو الموضع والمعنى الذي تقصده"[13]، وإن هذا التفنن في إدراك وظيفة الكلمات داخل الجمل، ومن ثم دلالاتها هو ما أطلق عليه أحد الدارسين والأسلوبيين(**التلاعب باللغة**) وما هذا التلاعب في حقيقته إلا انزياحات يحققها الكاتب أو الأديب، ويقوم هذا(التلاعب باللغة) على معرفة حدسية في ضمير الشاعر بالأنماط المجردة للغة وبالقواعد المسموح بها في تعاقب الأصوات ويمكنه – هنا – أن يستثمر فنيا هذه المنابع اللغوية فيما يعرف بتجاوز المعنى[14]، فالانزياح هو التلاعب باللغة ونعني بذلك اللعب في محتويات الجملة ، وإعادة ترتيب ألفاظها المنقولة بمعانيها الأصلية سعيا وراء إحراز الدلالة المطلوبة، تلك الدلالة التي تستدعي أن تمثل كل كلمة في الجملة دورا في تتمة المراد لا باستيفاء هذه الكلمات شروط البناء فحسب، وإنما بتفاعلها في هذا البناء، فتستقر حيث يتطلب المعنى وتستدعي الدلالة[15].

الانزياح في التراث العربي: هل للانزياح جذور في تراثنا العربي؟ أو ما علاقة البلاغة والأسلوبية؟ كيف يمكننا أن نبرهن على وجوده في التراث من خلال علاقة معطيات كل منهما فإذا "تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجدناها تقرر أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها الشرعي"[16]، فمن الطبيعي أن يكون المفهوم المعرفي المستحدث الذي تولد عن معطى سابق له، أن يحتل موقعه فيكون امتدادا له ومقاطعا في الوقت ذاته، وهو ما ينطبق أيضا على معطيات كل من العلميين، خاصة المعطيات الجوهرية في العمليات الأدبية الإبداعية، و"لم تكن طريقة التصريح في الاتصال أو التكيف الاجتماعي أو النفسي أو الوجداني، هي الوحيدة في فنون التعبير في البلاغة العربية، بل فنون المجاز تشبيه واستعارة و تمثيل وكناية هي موارد أخرى للتهافت الإنساني، والامتداد الحضاري والبيئي"[17]، وفنون المجاز هذه من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية هي معطيات جوهرية بلاغية، تندرج كلها ضمن دائرة المجاز، "فالمجاز فن له دواعيه وأغراضه، وهو طريق من طرق الإبداع البياني في كل اللغات، تدفع إليه الفطرة الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان وقد استخدمه الناطق العربي في عصوره المختلفة وليس المجاز مجرد تلاعب بالكلام في قفزات اعتباطية من استعمال كلمة أو عبارة موضوعة لمعنى إلى استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى كلمة أو عبارة أخرى موضوعة لمعنى آخر بل المجاز حركات ذهنية تصل بين المعاني وتعقد بينها روابط وعلاقات فكرية تسمح للمعبر الذكي بأن يستخدم العبارة التي تدل في اصطلاح التخاطب على معنى من المعاني ليدل بها على معنى آخر، يمكن أن يفهمه المتلقي بالقرينة اللفظية أو الحالية أو الفكرية [18]، ويبدو لنا جليا من خلال هذا القول أنه يرادف ويوازي بل ويطابق المعطى الأسلوبي واللساني

الحديث وهو الانزياح الدلالي الذي يعدل وينتقل بمعنى الكلمة أو العبارة إلى معنى آخر متراح عن المعنى العام أو المعنى الاصطلاحي في التخاطب ، فهو ما ميز لغة الشعر والأدب بالجمال والبيان. فإذا قلنا انزياح دلالي فما هو في الحقيقة إلا مجاز بما يندرج في دائرته من تشبيه واستعارة وتمثيل وكناية في التراث القديم، فكلا من المجاز والانزياح الدلالي يستعمل في معنى مختار عن المعنى الذي وضع للفظ إلى معنى خاص قد يصل إلى حد اللغز والرمز لا يصل إلى فك مضمونه إلا الإنسان المزود بالقدرة على البيان، بل ولابد لحدوثه قبل ذلك أن يكون الشاعر أو الأديب متمكنا وساحرا لغوي وبياني.

إنَّ الدراسات اللغوية اللّسانية الحديثة، لم تكن لتوجد لولا تراثنا فقد تناولوا قضايا لغوية ودلالية وذلك لأهميتها في الكشف عن فهم الأدباء والبلاغيين لآلية التعبير الشعري ، بل والأدب عموما وقد كان من بين هؤلاء البلاغيين **عبد القاهر الجرجاني** (ت 471 أو 474 هـ) من خلال كتابه (**دلائل الإعجاز**) الذي أقر بضرورة اتحاد اللفظ والمعنى، كما فطن إلى حقيقة لغوية دلالية تتمثل في ضرورة وهي أنه بتغير المعنى يتغير اللفظ وهو ما يوازي ويقابل الانزياح اللغوي والدلالي بالاصطلاح الحديث، فعبد القاهر الجرجاني هو أحسن من مثل التراث العربي. فقد تميز عن غيره من البلاغيين بمعارضة المعايير الجاهزة السابقة للنصوص وبذلك اختلف في فهمه للمعنى وعلاقته باللفظ، من خلال آرائه الفذة فيما يتعلق بترتيب المعاني وترتيب الألفاظ والعلاقة بين هذين الترتيبين أثناء عملية التأليف[19]، ولم يول الجرجاني اهتمامه لقيمة اللفظة المفردة، أو لقيمة معناها القاموسي، بل إزاء قيمتها في سياق الكلام، وهو ما تقوم عليه نظريته وهي نظرية النظم، إذ جعل المعاني في المرتبة الأولى والألفاظ تابعة لها، فالمعنى عنده هو كيفية النظم وأنه في انحيازنا للفظ تكون عملية قتل للفكر، لأننا نستطيع أن نتصور الفصاحة والبلاغة في اللّفظة المفردة وإنما هي في تلك العملية الفكرية التي تصنع تركيبا من عدة ألفاظ [20]، فالدلالة هي نتيجة لضم الكلم بعضها إلى بعض وسبيل ذلك كما قال الجرجاني هو توخي معاني النحو وأحكامه، فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعّلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك [21]، فالمعاني عموما لا تقوم إلا بصحة معاني النحو، فمعاني النحو تعلو شأنا عن معاني الألفاظ المفردة أو المفردات القاموسية، وإنما تتجلى هي في قيمة التركيب النحوي ومراعاة كل شروطه، وليس هذا فحسب، بل ما تؤديه إضافة إلى ذلك من المعاني الراقية التي تتقبلها النفس العاقلة الباحثة عن الجمال[21]، يقول الجرجاني: "وليس عندنا في وجوه الخطأ اللّغوي أكبر ولا أعظم من

أن يظن امرؤ أن اللّغة بالمفردات لا بالأوضاع والتراكيب"، ولكن "ليس القصد معرفة قواعد النحو وحدها، ولكن ما تحدثه هذه القواعد وما سيتبعه من معنى وما يتولد عن النظم من مدلول"، إذ أن الغرض ليس"بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[22].

ويتضح لنا أن الجرجاني مصر على موقفه من عدم الفصل بين ثنائي اللّفظ والمعنى، بل جعل الصورة ثالثة وأقربها كتعبير عن كيفية النظم ، إذ لا وجود لمعان عارية بل هناك معان خاصة فالمعنى لا يوجد بلا لفظ إنه قائم ضمن عملية النظم، فالجرجاني وحد اللفظ والمعنى في حيز الدلالة، فأي تغير في نظم الألفاظ يؤدي إلى تغير في المعنى، ويقول في رده على القائلين بتزايد "مما يعتمدونه ويرجعون إليه قولهم: إن المعاني لا تتزايد وإنما الألفاظ دون تزايد في المعاني ما يلي تتزايد الألفاظ وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه غير أن تجعل تزايد الألفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو، وأحكامه فيما بين الكلم، لأن التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال"[23] فيقول: "لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا ان تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما ، وإنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تم ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحنج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وإن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق[24] ما يمكننا التأكد منه أن البلاغي عبد القادر الجرجاني قد توصل إلى حقيقة لغوية دلالية لسانية هي الانزياح اللّغوي والدلالي نظريته، لكن مع العلم أنه أعطى القيمة الكبرى والمزية العظمى للانزياح الدلالي في تحقيق معاني المعاني في الشعر والأعمال الأدبية والفنية.

أنواع الانزياح:

إن أهمية الانزياح لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص، وإنما يشمل أجزاء كثيفة متنوعة متعددة، فإذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات وجمل، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات و هذه الجمل. و ربما صح أن أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح.

فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللّغوية ما يسمى "**الانزياح الاستبدالي**"، وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه، سياقا قد يطول أو قد يقصر، وهذا ما سمي "**الانزياح التركيبي**[25].

الانزياح الاستدلالي:

وهو الذي يتعلّق بجوهر الوحدة اللّغوية أو بدلالتها مثل الاستعارة، والمجاز، والكناية والتّشبيه.أمّا الاستعارة تمثل عماد هذا النوع من الانزياح، نظرا لأهميتها ولما لها من فوائد، جمة في البناء الأدبي الشعري فقد تناولها الكثيرون من الباحثين والأدباء القدامى، واللغويين واللسانيين المحدثين على حد سواء.

وكما هو الشأن بالنسبة للبلاغة القديمة ككل، وكذا بالنسبة للشعرية الحديثة هناك خرق لقاعدة وعدول عما هو عادي، هناك زيادة على المطلب اللغوي الصرف فهنا يحيلنا العسكري بحدسه السليم وفي عبارة صريحة على مبدأ لساني أكدته الدراسات اللسانية الحديثة، يتجلى في ميل اللغة إلى الخفة واليسر والاستغناء عن كل ما لا يضيف شيئا إلى الخطاب، وهذا بخلاف الخطاب الأدبي الذي يقوم كلغة ثانية مشاكسة لقانون اللغة الأولى بشتى الصور، وهذاالقانون ندرك أن الشعر لغة ثانوية متميزة عن اللغة الطبيعية [26].

الانزياح التركيبي:

ويحدث مثل هذا الانزياح من خلال طريقة في الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب والفقرة، ومن المقرر أن تركيب العبارة الأدبية عامة والشعرية منها خاصة، يختلف عن تركيبها في الكلام العادي أو في النثر العلمي: ففي حين تكاد تخلو كلمات هذين الأخيرين إفرادا أو تركيبا من كل ميزة أو قيمة جمالية فإن العبارة الأدبية أو التركيب الأدبي قابل لأن يحمل في كل علاقة من علاقاته قيمة أو قيما جمالية، فالمبدع الحق هو من يمتلك القدرة على تشكيل اللفظة جماليا بما يتجاوز إطار المألوفات، وبما يجعل التنبؤ بالذي سيسلكه أمرا غير ممكن ومن شأن هذا إذن أن يجعل متلقي الشعر في انتظار دائم لتشكيل جديد ومنه معاني ودلالات جديدة[27].

ويمكن القول هاهنا بأن الشعريات الحديثة مالت في المقام الأول إلى رؤية الشعر بما هو تشكيل لغوي و علاقات جديدة ... ومن بين هؤلاء (جون كوهن) فالشاعر حسبه هو شاعر "بقوله لا بتفكيره وإحساسه، وهو خالق كلمات وليس خالق أفكار، وعبقرية كلها إنما ترجع إلى إبداعه اللغوي" ويرى أن هناك من القصائد التي تقول شيئا واحد [28]، ولكننا لا ينبغي أن نأخذ

بحرفية آرائه، لأنه حتى وإن وجدت قصائد تقول شيئا واحدا إلا أنها تختلف عن الأخرى بطريقة قوله، فهي طريقة جديدة في تراكيب كلامية خاصة، إذ فيها يمكن الجمال، وبذلك فإننا إذا أقررنا بأنه لكل قصيدة تركيبها الجديد الخاص، فمن شأن ذلك أن يغير من طبيعة المعنى نفسه، وأن ترافقه دلالات جديدة ما كان لها أن تكون لولا التركيب الجديد. فتتمثل الانزياحات التركيبية في الفن الشعري أكثر شيء في التقديم والتأخير، و المعلوم لدينا أن لكل لغة بنيات نحوية عامة. ومطردة و عليها يسير الكلام: فالفاعل في العربية على سبيل المثال يكون تاليا لفعله، وسابقا مفعوله غالبا، إن كان الفعل متعديا، في حين أنه في الانجليزية متصدر الجملة، أي أنه مبتدأ يتلو فعل فمفعول...و هكذا

ولكن يوجد اختلاف بين مثل لغتنا التي تعتمد الإعراب الذي يسهم إلى حد بعيد في تبين الدلالات فيها وبين الانجليزية وما شابهها من لغات لا إعراب فيها، ومن ثم يكون الفيصل في تبين الدلالات فيها مواقع الكلام، وبذلك تكون مرونة التركيب في اللغات التي تحوي إعرابا أكبر من التي لا تحوي الإعراب، ومن شأن الأخير إن يسهم في تبين الدلالة وان اختلفت مواقع أجزاء الجملة تقديما أو تأخيرا يعني الاختلاف، وهو ما يتيح أمام المبدع في العربية وغيرها متسعا لكثير من ألوان التصرف دون أن يخش المساس أو الإخلال بالدلالة، بل هو ذلك التصرف الذي يعين على نقل أفضل للدلالة و المعنى، وما هذا الغنى في التراكيب إلا ميزة تجعل المبدع أكثر وفاء لأداء معانيه عبر تراكيب وعبر ما تمنحه له أداتهِ [29]" والتصرف في البناء النحوي "لا يعني مخالفة القواعد، وإنما يعني العدول عن الأصل" وكذلك هذا العدول ليس بمعنى العدول عن الأفصح إلى الأقل فصاحة، بل هو عدول عن الأصل اللغوي فقط إلى لغة ثانوية فرعية لكنها فنية شعرية .وإذا كان هناك من ذهب إلى أن الجملة التي تخالف قاعدة أصلية في النحو تكون أقل نحوية، ومن ثم أكثر انحرافا، فإذا سلمنا بما تتيحه إمكانات اللغة للمبدع من ألوان كثيرة للتصرف، فهذا لا يعني أن يجترح لنفسه قواعد جديدة، بل أن يكرسها لبناء جديد أو يشبه الجديد وهو مكمن الفرق بين المبدع وغير المبدع [30]، و تنبغي الإشارة إلى أن التركيب لا ينحصر في الجملة الواحدة ضمن النص، فثمة نوعان آخران من التركيب: يتمثل النوع الأول في تركيب الأصوات أو الحروف في الكلمة، وأما النوع الآخر وهو ما يهمنا أمره، ويتمثل في تركيب مجموع الجمل بعضها مع بعض كي تشكل في نهاية الأمر بنية النص كله، ونتيجة ذلك فثمة مستويان من التركيب يتحكم فيهما المبدع: مستوى تركيب الكلمات في جملة، ومستوى تركيب الجمل في النص. والانزياح وارد في كلا

المستويين. وهكذا نرى أن النص تتضافر فيه جملة من الانزياحات ذات اتجاهات متعددة، وهو ما يدعم فكرة النظر إلى النص بما هو كائن متحرك غير ثابت و لا متجمد.

وقد يتعدى الانزياح التركيبي ما سبق من أنواع التراكيب إلى أنواع أخرى من شأنها أن تكون ظواهر غير عادية أيضا، من مثل توزيع بعض العناصر الأسلوبية توزيعا غير متعادل مما يلفت النظر إليه، كأن تكثر مثلا الاستعارة في جزء من النص، وتقل أو تنعدم في باقي أجزائه، أو كأن يتكرر عنصر أسلوبي ما، ويشكل تكراره في النص ملمحا بارزا غير عادي، إلى غير ذلك من بناء تسلسلات متشابكة و معقدة من الجمل يشكل بناؤها انزياحا غير مألوف ما يؤدي إلى انزياحات دلالية لا تحصى.

و مما له أن يدخل أيضا ضمن أشكال الانزياحات التركيبية الانتقال من أسلوب إلى آخر انتقالا مفاجئا يستهدف إحداث تأثير فني، فينتقل مثلا من النظم الشعري إلى اللهجة الدارجة، كي يتحقق له نوع معين من التأثير، ومثل هذا الانتقال يتعلق ببنية العمل الفني على نحو عام، ومن ذلك أيضا ظاهرة الالتفات، وطريقة التصوير الحر ويتجلى في الانتقال المفاجئ و تحريك عناصر الواقع فيها يعرف بالخلط الزماني و المكاني، كل هذه وأمثالها كثير تقع في دائرة الانزياحات التركيبية التي تحدث في النص الواحد، بل ومن الممكن أن يحدث الانزياح لدى المبدع في نص له بالقياس إلى باقي نصوصه، فمن الممكن اعتبار مجموع النصوص نصا واحدا و بناء متحركا يغير بعضه بعضا و(يبدو بعضه متراحا بالقياس إلى الباقي[31]، يبدو لنا وكان النوع الأول من أنواع الانزياح وهو" **الانزياح الاستبدالي**" ما يمثل "**الانزياح الدلالي**" باعتباره يشمل مختلف صور البيان من مجاز واستعارة وتشبيه...، أما النوع الثاني وهو "**الانزياح التركيبي**" ما يمثل "**الانزياح اللغوي**" بمختلف التراكيب اللغوية والأسلوبية من تقديم وتأخير، حذف وذكر، تكرار، وإحصاء.

صور الانزياح:

إذا تحدثنا عن صور الانزياح، فينبغي لنا الحديث أولا عن الحقل الدلالي، فهذا الأخير هو مجموعة من الكلمات ترابطت دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، ومن خلال مجموع هذه الكلمات المتصلة دلاليا تتحدد دلالة كل كلمة وعلاقتها بدلالات الكلمات الأخرى التي تنتمي كلها إلى الحقل الدلالي الواحد. وقد اهتمت الدراسات الحديثة بوضع حقول معينة للألفاظ التي تربط دلاليا، والهدف من ذلك الكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.

فصور الانزياح تعين على ضم المفردات دلاليا وذلك بالتماس صلات المقاربة بين معاني المفردات، ويتمظهر هذا الالتماس الدلالي في وصل المفردات دلاليا من خلال صور الانزياح المتنوعة ضمن الحقل الدلالي كذلك من شأن صور الانزياح أن تزيد في إجلاء المعاني وتوضيحها بين المفردات المترادفة التي تتشابه معانيها؛ إذ أنها تكشف ما خص من معنى كل مفردة مع ذكر المعنى المشترك بين المعاني هذه الكلمات و مستويات الانتقال الدلالي في معاني المفردات فالانزياح الدلالي يمس جانب المعنى أكبر نسبة مقارنة بما يحدث في جانب اللفظ، لذا فهو انزياح دلالي بدرجة أولى، وفيما يلي توضيح لصورة الانزياح الدلالي.

-الانزياح من المادي إلى المعنوي:

وفي هذه الصورة تتراوح و تنتقل دلالة الألفاظ من الدلالة على المعنى مادي إلى الدلالة على معنى معنوي غير محسوس و مثال ذلك لفظة (**الجدال**)، فالجدل هو "شدة الفتل، وجدلت الحبل جدلا إذا شددت فتله و فتلته فتلاً محكما، و منه الجديل وهو الزمام المجدول منَ أدمٍ، انتقل معنى الجدل الذي هو شدة الفتل- وهو معنى مادي – إلى الجدل والجدال بمعنى الخصومة في الرأي و دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، واتخذ مصطلحا في المنطق يدل على: القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"[32].

-الانزياح من المادي إلى المادي لعلاقة مكانية: تنتقل دلالة الألفاظ من الدلالة على معنى مادي إلى الدلالة على معنى مادي آخر لوجود علاقة فكلمة"**المطامير**" من الفعل: طمر البئر طمرا: دفنها وطمر الشيء خبأه حيث لا يدري، "» : مكانية بينهما، والمطمورة حفيرة تحت الأرض يطمر فيها الطعام و المال و الحبوب، ومن هذا المعنى قيل"المطامير" السجون، والعلاقة المكانية بين المعنيين واضحة، حيث إنّ المطامير وضعت أساسا لكي يدخر فيها[33] الطعام والمال والحبوب، ولكنها اتخذت في العصر العباسي كمكان للحبس والتعذيب.

-الانزياح من المادي إلى المادي لعلاقة زمانية: توجد نماذج أخرى من الألفاظ تتغير دلالتها من المعنى مادي إلى معنى مادي آخر لعلاقة زمانية فكلمة **العشاء**" وهي أول الظلام من الليل، وقيل: هو من صلاة المغرب إلى العتمة ثم أطلقت العشاء على الصلاة التي تؤدي في هذه الأوقات، وهي صلاة واحدة ولكنهم اختلفوا في « تحديد وقتها، والعلاقة بين العشاء بالمعنى الزماني والعشاء بمعنى صلاة العشاء واضحة».[34]

–الانزياح من المادي إلى المادي لاشتراكهما في جزء من المعنى: كلفظة " **السوق** " التي استعملت للدلالة على المهر، لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا، ثم انتقلت دلالة هذه اللفظة إلى الموضع الذي يجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتياع، مشتقة من سوق الناس بضائعهم، ثم وضع السوق موضع المهر، وقد اشتركت الدلالتان[35]. في جزء من المعنى وهو السوق.

إذن فمن خلال صور الانزياح نستشف أهميته في إثراء اللغة، وكيف أن اللفظ الواحد يستخدم للدلالة على معنيين وقد يتعداهما إلى معان عديدة، مع كشف صلات المقاربة في هذه المعاني لتضبط في حقول دلالية بحيث لا يكون انزاحا دلاليا عشوائي، وقد يضبط أيضا من خلال السياقات اللغوية المختلفة والتي تزيد في تمايز معاني المفردات أكثر فأكثر. كما يسعى الحقل الدلالي لجمع الكلمات المتصلة دلاليا فيها بينهما، تسعى صور الانزياح لتقريب صلات دلالية بين ما انزاح من المعاني وبالتالي ضمن حقول دلالية متمايزة. وبما أن للغة نظام ثابت متّفق عليه، تحكمه أنساق لغوية وأخرى نحوية وصرفية أو تركيبية...إلخ، فإن اختراق هذا النّظام وانتهاكه ينتج لنا انزياحا وهو ما يكسب النّص جماليته والشعرية موضوعها الحقيقي، وعلى هذا الأساس قسم الأسلوبيون اللغة إلى مستويين: مستواها المثالي في الأداء العادي، والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها"

هوامش البحث:

(1) صبحي الصالح : أصول الألسنية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربي ، العدد 9/8 مارس 1978 ص257 .

(2) عبد السلام المسدي : العربية والإعراب ، مركز النشر الجامعي ، تونس 2003، ص 62

(3) محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة. دار الفكر العربي. د ط. 1998 . مدينة نصر القاهرة ص 18

(4) عبد الكريم محمد حسن حبل، في علم الدلالة، 33. الدلالة (دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات)، (دار المعرفة الجامعية، 1997)، 33.

(5) محمد سعد محمد، في علم الدلالة، القاهرة – جمهورية مصر العربية: مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى.2002 ص 84

(6) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، : علم الكتب الجامعة، الطبعة الخامسة ، 1998 ، ص 237

(7) يوسف أبو العدوس، الأسلوبية والتطبيق/ دار المسيرة، عمان/ الأردن 2007، ص ، 80

(8) نقلا: مختار عطية ، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية.دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر دت.ص: 50

(9) نقلا: مختارعطية ، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية..ص: 50

(10) المرجع السابق: 51

(11) بتصرف:محمد بركات حمدي أبو علي البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق.دار وائل للنشر والتوزيع ط 1 2003 م.ص: 77

(12) نقلا: مختار عطية ، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية.ص: 43

(13) نقلا: مختار عطية، التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية.ص: 59

(14) بتصرف:رجاء عيد .البحث الأسلوبي معاصرة وتراث .دار الكتب العلمية .دط .دت.ص: 149

(15) مختار عطية: التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية ص 59

(16) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، دار الكتاب الجديد المتحدة.دار أويا للطباعة و النشر والتوزيع والتنمية الثقافية ط 2006. طرابلس الجماهيرية العظمى ص: 44

(17) محمد حمدي بركات أبو علي .البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ص 128

(18) صبحي الصالح : أصول الألسنية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربي ، العدد 9/8 مارس 1978 ص 257 .

(19) جودت فخر الدين. شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن هجري. دار الحرف العربية للطباعة و النشر و التوزيع دار المناهل للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 1424هـ ، 2004م، ص65

(20) صبحي الصالح : أصول الألسنية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربي ، العدد 9/8 مارس 1978 ص 257 .

(21) نور الهدى لوشن. علم الدلالة (دراسة و تطبيق) ص 45

(22) نور الهدى لوشن. علم الدلالة (دراسة و تطبيق) ص 45

(23) نقلا: المرجع السابق ن، ص.

(24) جودت فخر الدين. شكل القصيدة العربية في النقد العربي ص67

(25) جودت فخر الدين شكل القصيدة العربية في النقد العربي. ص 69

(26) أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص: 111

(27) محمد العمري. البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ص: 297

(28) أحمد محمد ويس ، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص، 120

(29) بتصرف:أحمد محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص، 121

(30) أحمد محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص، 121

(31) أحمد محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص125

(32) بتصرف:أحمد محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، ص: 127

(33) رجب عبد الجواد إبراهيم.دراسات في الدلالة والمعجم ص 106

(34) المرجع السابق ، ص، 107

(35) المرجع السابق، ص، 107. ، 108